لباب ما قيل في
آية الهجرة من تأويل

الدكتورة

مها عبد العزيز عبد الغني الحبّار

كلية الإمام الأعظم الجامعة/ نينوى

المقدمة

الحمدُ لله الذي أتقن بحكمته كل شيء فاحتبك، وبعث حبيبه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فأنار به كل حلك، وآتاه من المعجزات والخصائص ما لم يُؤتَه نبي ولا مَلَك، وجعل جنده الملائكة تسير معه حيث سَلَك، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما سار فُلك ودار فَلك.

أمّا بعد:

فالتفسير والبيان رسالة خير الخلق، قال تعالى:﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [1]، وهو خير ما يُتعلَّم ويُعلَّم،وإنَّ الدين الإسلامي لم يصل إلينا بسهولة بل بعد جهد وبذل للأنفس والأموال، ومفارقة للأهل والديار؛ ولما كان أول حدث مهم في الإسلام: الهجرة وما تضمنته من معاني وقيم رائعة وعظيمة لمن يدرك حقها ويعلم فضلها ارتأيت أن اشرع في البحث عن تفسير الآية التي تحكي قصة هجرة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، بأسلوب سؤال وجواب بحيث يمكن الإحاطة بالموضوع بنهج جديد يدعو إلى التفكر والتأمل الشديد في الآية قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [2].

وكان منهجي في بحثي التفسير لكل كلمة في الآية ومايقابلها من المعاني وما يشابهها،

---

(١) النحل: جزء من آية٤٤

(٢) سورة التوبة،آية:٤٠.

وبيان السبب من ورود اللفظة بالتحديد دون غيرها، والحكمة من التقديم والتأخير، والتكرار في الكلمات والحروف في الآية ؛ لتتجلى عظمة الإعجاز القرآني للقارئ الكريم.

وحاولت إبراز الصورة المشرقة للهجرة وهي بحمد الله لاتحتاج لذلك وإنما للمتشككين في أمرها ومغزاها واعتمدت في بحثي المتواضع على الرجوع إلى أمّات الكتب في التفسير والرجوع الى المصادر الموثوقة، وإسناد كل رأي إلى قائله؛ مبتدئة على الأغلب بذكر سؤال حول معنى معين من معاني الهجرة، ومن ثمَّ اتبعه بالجواب، مستعينة بأقوال المفسرين والتعريفات اللغوية والاصطلاحية للمعنى واقتصرت في الاستدلال بلباب ما قيل في تأويل الآية، واشتمل البحث على مقدمة، وتوطئة للتعريف بعنوان البحث، وتسعة مطالب،على النحو الآتي:

المطلب الأول: ذكر الآية، وسبب نزولها، ومن المعني بالعتاب فيها.

المطلب الثاني: معنى قوله تعالى: ﴿ إلا ﴾ ،والفرق بين النصر والمعونة، ووجوه نصرة الله تعالى لنبيه ﷺ.

المطلب الثالث: بيان حاله ﷺ عندما أخرجه الكفار من مكة.

المطلب الرابع: إثبات الصحبة للصديق رضي الله عنه وبيان فضله.

المطلب الخامس: الفرق بين الخوف والحزن وهل يفسر حزنه رضي الله عنه بالجبن؟

المطلب السادس: ما المقصود بالمعيّة في هذه الآية؟ وسبب تقديم لفظ الجلالة عليها؟

المطلب السابع: السكينة والتأييد وعلى من أنزلتا وآثارهما.

المطلب الثامن: كلمة الله تعالى وماتحويه من معان.

المطلب التاسع: الحكمة من ختم الآية بالعزيز والحكيم من أسماء الله تعالى الحسنى.

وختمت البحث بخاتمة بيّنت فيها أهم ماتوصلت إليه من نتائج.

وهذا جهد المقل وبضاعتي المزجاة أضعها بين يدي القارئ الكريم علَّها تحضى بالأفضليّة المعنيّة في قوله ﷺ :((أفضلُ الصدقة جَهدُ المقلّ))[1] وأستسمح القارئ الكريم عذرا إذا ما وجد في عملي هذا تقصيرا، فهو جهد بشر، والمرء يستحضر في هذا المقام قول القائل*: ((إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يوم إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر))[2].

وفي الختام: أتوجه بالشكر إلى الله تعالى الذي سهَّل لي أمر إعداد هذا البحث بفضل منه وتوفيق، وأسأله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعنا بما علمنا إنَّه على كل شيء قدير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) جزء من حديث أخرجه النسائي :السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت: ٣٠٣هـ)، باب صدقة جهد المقل، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن،عدد الأجزاء : ٦، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١ – ١٩٩١) رقم الحديث: (٢٣٠٥)، وأبو داود :سنن أبي داوود،باب طول القيام، رقم الحديث: (١٤٥١)، تعليق الألباني، عدد الأجزاء : ٤، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(٢) أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوجي، تحقيق : عبد الجبار زكار، ج ١ / ص ٧٠، دار الكتب العلمية – بيروت ،١٩٧٨

*كتبه أستاذ العلماء البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذرا عن كلام استدركه عليه

توطئة
التعريف بعنوان البحث

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تعريف اللباب في اللغة والاصطلاح:

معنى اللباب في اللغة :خالص كل شئ، وأفضله، وما في الجوف من الأشياء،ويطلق على الطحين المرقق.

قال ابن سيدة:((لُبُّ كلِّ شيءٍ ولُبَابُهُ خالِصُهُ وَخِيارُهُ وقد غَلَبَ اللُّبُّ على ما يُؤْكلُ دَاخِلُه ويُرْمَى خارجُه من الثَّمرِ وشيءٌ لُبَابٌ خالصٌ))[1]

قال ابن منظور:((ولُبُّ الجَوْز واللَّوز، وَنَحْوُهُمَا: مَا فِي جَوْفه، والجمعُ اللُّبُوبُ واللباب طحين مرقق)) [2].

وفي الاصطلاح : اللباب خلاصة الشيء.

المسألة الثانية:تعريف الحرف (ما) في اللغة والاصطلاح:

وما وهي حرف صلة يستعمل لغير العاقل وقد يستعمل للعاقل ،قال ابن عقيل: ((وأكثر ما تستعمل في غير العاقل وقد تستعمل في العاقل ومنه قوله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم،ابن سيدة:أبو الحسن،علي بن إسماعيل المرسي(ت:٤٥٨هـ)،ج١٠، ص٣٦٦،باب:اللام والباء،تحقيق:عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية (بيروت-١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).

(٢) لسان العرب،ابن منظور: أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)،ج١/ ص٧٢٩،ط٣،باب:اللام،دار صادر(بيروت- ١٤١٤هـ)؛ وينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار،ج٢/ ص٨١١، تحقيق :مجمع اللغة العربية ،دارالدعوة ،(دت).

مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[1]))[2].

المسالة الثالثة:تعريف القيل في اللغة والاصطلاح:

القيل في اللغة: اسم مشق من القول، أو من كثرة القول .

قال الفراهيدي:((القِيلُ من القول اسم كالسمع من السمع، والعرب تقول: كثر فيه القيلُ والقال، ويقال: اشتقاقهما من كثرة ما يقولون: قالَ وقيلَ، ويقال: بل هما اسمان مشتقان من القول. ويقال: قِيلٌ على بناء فِعلٍ، وقِيلَ على بناء فُعِلَ، كلاهما من الواو))[3]

وأضاف الجوهري في أصل استعماله: ((وَقِيلَ: القَوْل فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، والقَال والقِيل فِي الشرِّ خَاصَّةً))[4].

والقيل في الاصطلاح: هو اللفظ المركب إذا كانت القضية ملفوضة، أو المفهوم المركب العقلي إذا كانت القضية معقولة[5].

---

(١) سورة النساء،جزء من الآية:٣.

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل،عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ)،ج١/ ص ١٤٧،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد،ط٢٠،دار التراث (لقاهرة- ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

(٣) كتاب العين،الفراهيدي:أبو عبد الرحمن،الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)،تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،ج٥/ ص٢١٣،باب:القاف واللام،دار ومكتبة الهلال(د.ت).

(٤) الصحاح، الجوهري:أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ)، ج٥ / ص١٨٠٦، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤، دار العلم للملايين(بيروت- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧)؛ لسان العرب،ج١١/ ص٥٧٣؛ المعجم الوسيط، ج٢/ ص٧٦٧.

(٥) ينظر: التعريفات،الجرجاني:علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ)،ج١/ ص١٨٠ ،ضبطه وصححه جماعة من العلماء: دار الكتب العلمية(بيروت-١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

المسألة الرابعة:تعريف الآية في اللغة والاصطلاح:

معنى آية في اللغة : العلامة، أو الجماعة والطائفة، أو العجب من القول.

قال ابن دريد:((جمع آيَة: آي وآيات. وَالْآيَة فِي الْقُرْآن الْكَرِيم كَأَنَّهَا عَلامَة شَيْء ثمَّ يخرج مِنْهَا إِلَى غَيرهَا)) [1].

وأضاف أبو بكر الأنباري وابن فارس قولان في معناها أن تكون سميت: آية، لأنها جماعة من القرآن، وطائفة منه،أو لأنَّها العجب من القول [2].

وفي الاصطلاح:

عرّف الجرجاني الآية أَنها:((طائفةٌ من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلةً كانت أو قصيرة)) [3].

خامسا:تعريف الهجرة في اللغة والاصطلاح:

الهجرة في اللغة اسم يدل على عدم الوصل مشتق من الهجر.

والهجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة. والمُهاجرة من أرضٍ إلى أرضٍ: تركُ الأولى للثانية[4].

---

(١) جمهرة اللغة،ابن دريد: أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١هـ)،تحقيق: رمزي منير بعلبكي،ج١/ ص٢٥٠-٢٥١،دار العلم للملايين (بيروت-- ١٩٨٧م).

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري:محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، (ت: ٣٢٨هـ)،ج١/ ص٧٧،تحقيق: د. حاتم صالح الضامن،مؤسسة الرسالة (بيروت- ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م)؛وينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس:أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت٣٩٥هـ)،ج١/ ص١٦٨،تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دار الفكر(بيروت-١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(٣) التعريفات،ج١/ص٤١.

(٤) ينظر: جمهرة اللغة،ج١/ ص٨٧؛ الصحاح، ج٢/ ص٨٥١، ؛ مجمل اللغة،ابن فارس:أبو الحسين،أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت: ٣٩٥هـ)،ج١/ ص٨٩٩، تحقيق: زهير عبد

وتوسَّع الأزهري في الأصل اللغوي لمعناها بقوله:((وأصل المُهاجَرة عِنْد الْعَرَب: خروجُ البدويّ من بادِيته إِلَى المُدُن،يُقَال: هاجَر الرجُل، إذا فَعل ذَلِك، وَكَذَلِكَ كلّ مُخْلٍ بمسكنه منتقِل إِلَى دار قوم آخَرين؛ وسمّوا مهاجرين؛ لأَنَّهم تَركوا ديارَهم ومساكنَهم الَّتِي بهَا نشؤوا بهَا لله وَلَحِقُوا بدار قوم لَيْسَ لَهُم بهَا أهلٌ وَلَا مالٌ حينَ هَاجرُوا إِلَى الْمَدِينَة، وَكَذَلِكَ الَّذين هَاجرُوا إِلَى أَرض الحَبشة، قَالَ الله جلّ وعزّ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾[1]))[2].

وأما تعريفها في الشرع،أو الاصطلاح: قال ابن قدامة:((هي الخروج من دار الكفر إلى دار الإسلام))[3].

سادسا:معنى التأويل في اللغة والاصطلاح:

تعددت معاني التأويل في اللغة فقد يطلق على :التفسير، وعلى جمع معاني ماأشكل من الألفاظ وإصلاحه،وتفسير الكلام الذي تختلف معانيه.

قال ابن منظور: ((التَّأْوِيل فَهُوَ تَفْعِيلٌ مِنْ أَوَّلَ يُؤَوِّلُ تَأْوِيلًا وثُلاثيُّه آلَ يَؤُولُ أَي رَجَعَ وَعَادَ. وَسُئِلَ أَبو الْعَبَّاس أَحمد بْنُ يَحْيَى عَن التَّأْوِيل فَقَالَ: التَّأْوِيل وَالْمَعْنَى وَالتَّفْسِيرُ وَاحِدٌ. قَالَ أَبو مَنْصُور: يُقَالُ أُلْتُ الشيءَ أَؤُولُهُ إذا جَمَعْتَهُ وأَصلحته؛ فَكَانَ التَّأْوِيل جَمْعَ مَعَانِي أَلفاظ أَشكَلَت بِلَفْظٍ وَاضِحٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ. وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَب: أَوَّلَ اللهُ عَلَيْكَ أَمرَكَ أَي جَمَعَه، وإِذا دَعَوا عَلَيْهِ قَالُوا: لَا أَوَّلَ اللهُ عَلَيْكَ شَمْلَك، والتَّأْوِيلُ تَفْسِيرُ الْكَلَامِ

المحسن سلطان،ط٢،مؤسسة الرسالة (بيروت- ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م).

(١) سورة النساء،جزء من الآية:١٠٠.

(٢) تهذيب اللغة، ج٦/ ص٢٩.

(٣) المغني:ابن قدامة المقدسي:أبو محمد،موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الدمشقي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)،ج٩،ص٢٩٣،مكتبة القاهرة(١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).

الَّذِي تَخْتَلِفُ مَعَانِيهِ وَلَا يَصِحُّ إِلّا بِبَيَانٍ غَيْرِ لَفْظِهِ)) [1].

ومعنى التأويل في الاصطلاح:

قال الراغب الأصفهاني: ((التأويل: رد الشيء إلى الغاية المرادة منه قولا كان أو فعلا [2].

وأضاف المنّاوي وغيره في معناه:((هو حمل الظاهر على المحتمل المرجوع، فإن حمل لدليل فصحيح، أو لما يظن دليلا ففاسد، ولا لشيء فلعب لا تأويل)) [3].

تعريف لباب ما قيل في آية الهجرة من تأويل باعتباره مركب اضافي:

خلاصة أقوال المفسرين في الآية التي ذكرت فيها هجرة الرسول ﷺ من مكة الى المدينة.

---

(١) لسان العرب ،ج١١ / ص ٣٣.

(٢) المفردات في غريب القرآن،الراغب الاصفهاني:أبو القاسم،الحسين بن محمد(ت:٥٠٢هـ)، ج١/ ص٩٩،تحقيق:صفوان عدنان الداودي، دار القلم(دمشق -١٤١٢ هـ).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف،المناوي:زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت: ١٠٣١هـ)،ج١/ ص٨٩، عالم الكتب(القاهرة- ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م) ؛ دستور العلماء المسمى:جامع العلوم في اصطلاحات الفنون،القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ١٢هـ)،ج١/ ص١٨٠، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

المطلب الأول

ذكر الآية، وسبب نزولها، ومن المعني بالعتاب فيها؟

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكر الآية:

وردت الآية التي ذكر فيها قصة هجرة النبي محمد صلى الله علية وسلم من مكة الى المدينة في الآية الأربعين من سورة التوبة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

المسألة الثانية: سبب نزول الآية:

سبب نزول هذه الآية متعلق بالآيات التي قبلها والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2]

قال ابنُ عبَّاس : ((نزلت هذه الآية في غزوة تبوك، وذلك لأنَّهُ عليه الصلاة والسلام لَمَّا رجع من الطائف أقام بالمدينة أمر بجهاد الرُّوم وكان ذلك الوقت زمان شدة الحر، حين طابت ثمار المدينة، واستعظم النَّاسُ غزو الرُّوم وهابوه، وكان ذلك في حر شديد، وسفر

(١) سورة التوبة،آية:٤٠.

(٢) سورة التوبة،الآيات:٣٨-٣٩.

بعيد، ومفاوز، وعدُو كثير، وذلك حين طابت ثمار المدينة، وظلالها فأمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فشقَّ عليهم الخروج، وتثاقلُوا، فنزلت هذه الآية))[1].

ويرى ابن جرير الطبري أنَّ في الآية إعلام من الله تعالى أنَّه ناصره ﷺ كما نصره عندما أخرجته قريش من مكة [2]، بينما يرى الرازي أنَّ في الآية طريقا لترغيب الصحابة رضي الله عنهم في الجهاد[3]، و ذهب المحقِّقون والقاضي أبو محمد من المفسيرن بتخصيص الخطاب لمن استنفرهم رسول الله ﷺ فلم ينفروا، وبذلك خرج منها كل من شاهد غزوة تبوك ولم يتخلف وإنما المعاتبة لمن تخلف فقط [4].

والذي ألمحه من سبب ورود الآية وتفريعا على قاعدة: ((العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب))[5] أن الآية ليس فيها عتاب فقط لمن تثاقل عن نصرته وإنّما فيه إشارة

(١) أسباب نزول القرآن، الواحدي: أبو الحسن ،علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ). المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، ص: ٢٤٦،ط٢، دار الإصلاح (الدمام- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)، لباب النقول في أسباب النزول، السيوطي: أبو الفضل ،عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي،ص: ١١٥،:دار إحياء العلوم - بيروت.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: أبو جعفر ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري(ت٣١٠ هـ)،ج١٤/ ص٢٥٤، تحقيق:أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة(١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب،الرازي:فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٦ هـ)، ج١٦/ ص٤٧، دار الكتب العلمية (بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م).

(٤) ينظر: اللباب في علوم الكتاب ،أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي(ت:٧٧٥هـ)،ج ١٠ / ص ٩٤ ،دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م)؛ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،ابن عطية: أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، ج ٣ / ص ٣٦، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٢٢هـ).

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن بهادر بدر الدين (ت: ٧٩٤هـ)،ج ٢ / ص ٣٥٢ ،حققه وضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد

إلى أنَّ الرسول ﷺ هو في رعاية الله وحفظه أولاً وأخيراً فلا يقدح تثاقلهم في نصرته؛ فالعدد والعُدد لا تعد شيأ امام قدرة الله فإذا تقاعستم عن الأخذ بأسباب نصره فالله قادر على نصره في المستقبل كما نصره في الهجرة لهذا ضرب لنا مثالا وقع بعده يؤكد تأييده له في معركة بدر مع نصرتهم له بدليل قوله تعالى: ﴿لم تروها﴾ لذلك نجد التأكيد بمعية الله له في الغار وكأن الله تعالى يقول انه في لطفي ومعيتي فلا يستطيع أحد أن يحيط به والحاصل من نصرتكم له هو تشرفكم بنصرة من كان الله ناصره، كما أن في الآية شحذ لهمم الصحابة على الالتفاف حول قائدهم ولا علاقة لهم بالنتائج؛ لأنَّ الله تكفل لهم بالنصر، وشتان من يدافع عن دين الله ومن يقاتل عن كفره وضلاله؛ فالأول ضامن لمعية الله ونصره، وقضية التذكير هذه لابد منها نفسيا ليتيقن السامع أن وعد الله واقع لا محالة .

المطلب الثاني

معنى قوله تعالى: ﴿إلا﴾، والفرق بين النصر والمعونة، ووجوه نصرة الله تعالى لنبيه ﷺ

وفيه مسائل:

المسألة الأولى:معنى قوله تعالى: ﴿إلا﴾، وهل يكون الشرط حاضراً ومستقبلاً، والجواب ماضياً؟

اتفق جمهور المفسرين والقرّاء على أن ﴿إلا﴾الواردة في الآية ((مركبة من إنْ الشرطية المخففة من إنَّ ولا النافية وهي حرفان لاحرف واحد))[1]، بينما جعلها الامام ابن مالك

تامر، دار الكتب العلمية (بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

(١) إعراب القرآن، النَّحَّاس :أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي (ت:٣٣٨هـ)،ج٢/ ١١٨،

وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم،دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٢١ هـ)؛الجنى

رحمه الله حرفا واحدا بمعنى الاستثناء[1] .

ويوكد ابن الجزري على أنها مركبة وقال أنَّ ابن مالك وقع في اشتباه في المسألة بسبب الاتصال؛ وذلك حين جعلها كلمة واحدة من أقسام إلاّ الاستثنائية وَذُهِلَ عَنْ كَوْنِهَا كَلِمَتَيْنِ: إِنَّ الشَّرْطِيَّةَ، وَلَا النَّافِيَةَ [2].

ويوضح الامام الآلوسي – رحمه الله–سبب ذلك الاشكال ويجيب عنه بقوله:

((واستشكلت الشرطية؛ بأن الجواب فيها ماض، ويشترط فيه أن يكون مستقبلا حتى إذا كان ماضيا قلب مستقبلا وهنا لم ينقلب، وأجيب:أن الجواب محذوف أقيم سببه مقامه وهو مستقبل أي إن لم تنصروه فسينصره الله تعالى الذي قد نصره في وقت ضرورة أشد من هذه المرة))[3].

وأيَّده الامام الشعراوي بأنه ليس جواب شرط وإنّما دليل الجواب وهو أبلغ في الدلالة

الداني في حروف المعاني، ابن جني: أبو محمد، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، ج١/ ص٥٢٢،تحقيق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م)؛ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،ابن هشام:أبو محمد، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين (ت: ٧٦١هـ)، ج١/ ص٣٣،تحقيق: د. مازن المبارك – محمد علي حمد الله،ط٦، دار الفكر(دمشق– ١٩٨٥م)؛ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي: ابو بكر، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: ٩١١هـ)، ج٣/ ص٥١٤، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية (مصر– د ت)

(١) شرح التسهيل، ابن مالك: محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الحياني الاندلسي (ت٦٧٣هـ)، ج١/ ٢٥٦، تحقيق:د.عبد الرحمن السيد–محمد بدوي المختون،دار هجر (د.ت).

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر،ابن الجزري: أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين (ت : ٨٣٣ هـ)،ج٢/ ص١٥٩،تحقيق : علي محمد الضباع ،المطبعة التجارية الكبرى (دت).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،الآلوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ)، ج٥/ ص٢٨٨،تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية (بيروت– ١٤١٥ هـ).

على الوثوق من حدوث الجواب [1].

المسألة الثانية: معنى النصر والفرق بينه وبين المعونة:

تعددت معاني النصر في كتب المعاجم اللغوية ومنها: الظفر، ومايقابل الخذلان، والعون، وحسن المعونة.

قال ابن فارس: نصَر اللهُ المسلمين:((آتاهمُ الظّفرَ على عدوِّهم، ينصرهم نَصْراً. وانتصر: انتقم، وهو منه)) ويقابله الخِذْلان هو ترك المعونة [2].

وأضاف ابن دريد في معنى النَّصر بأنَّه: ((ضدُّ الخَذْل والنَّصْر من شيئين: إمَّا من قولهم: ناصر ونصيري، بمعنًى، ورجلٌ نَصْرٌ في معنى ناصر، هو من قوله جلّ وعزّ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [3] والنَّصر: العَطاءُ))[4].

ومن معاني النصر عند الراغب الأصفهاني وابن سيده هو: العون؛ والنَّصْرُ والنصرة هو إعانةُ المَظْلوم، وهي حُسن المَعونة[5].

الفرق بين النصرة والإعانة:

رب سائل يسأل لماذا لم يطلب الله تبارك وتعالى من المسلمين المعونة لنبيه ﷺ وأتى بلفظ النصر بالتحديد مع انه تعالى ناصره أولا وأخيرا ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ

(١) ينظر:تفسير الشعراوي - الخواطر،الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت:١٤١٨هـ)،ج٨/ ص٥١٢٤،مطابع أخبار اليوم(دت- ١٩٩٧ م).

(٢) معجم مقاييس اللغة،ج ٥ / ص ٤٣٥.

(٣) سورة آل عمران،جزء من الآية:٥٢.

(٤) الاشتقاق ،ابن دريد:أبو بكر، محمد بن الحسن الازدي(ت:٣٢١هـ)،ج ١/ ص١٦٠، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، : دار الجيل(بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

(٥) ينظر: المفردات في غريب ألفاظ القران،ج١/ص٨٠٨ ؛ المحكم والمحيط الأعظم، ج ٨ / ص٢٩٩.

وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]؟

انَّ السياق الذي وردت فيه الآية يتطلب استعمال لفظ النصر بالتحديد؛ لأنَّ سبب نزولها هو في غزوة تبوك كما أسلفنا وهذا يقتضي النصرة على اعداء الله ورسوله.

أضف الى ذلك أنَّ بينهما عموم وخصوص وذلك ((أن النصرة لا تكون إلاّ على المنازع المغالب والخصم المناوئ المشاغب، والإعانة تكون على ذلك وعلى غيره تقول أعانه على من غالبه ونازعه ونصره عليه وأعانه على فقره إذا أعطاه ما يعينه وأعانه على الأحمال ولا يقال نصره على ذلك فالإعانة عامة والنصرة خاصة))[2].

وَالنصر قد يكون من العباد من باب الأخذ بالأسباب ودليله قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾[3] أو من الله تبارك وتعالى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4][5].

والذي استشفه من الفارق في المعنى اللغوي بين النصر والمعونة أنَّ طلب الله تعالى جاء بلفظ النصرة بالتحديد بالإضافة إلى ما بينهما من عموم وخصوص هو أن الذي يطلب المعونة هو المنهزم وتعالى الله ورسوله عن ذلك علوا كبيرا، إضافة إلى أن ((المعونة ما يظهر من قبل العوام تخليصا لهم عن المحن والبلايا))[6].

(١) سورة الأنفال ،جزء من الآية:٦٢.

(٢) الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: ٣٩٥هـ) ج١ / ص٢١٤، ت٤٠٠هـ، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت – دت).

(٣) سورة التوبة،آية:٤٠.

(٤) سورة الأنفال ،جزء من الآية:٦٢.

(٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(ت : ١٣٩٣هـ)،ج٨/ ص٢٢١، دار الفكر (بيروت – ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م).

(٦) التعريفات،ج١/ ص٢١٩.

كما أن في الجملة الفعلية ﴿ نَنصُرُوهُ ﴾[1] إشارة إلى انه طلب «حسن المعونة» من قبل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والنبي ﷺ بين ظهرانيهم، وتجدد النصرة له ﷺ من قبل كافة المسلمين في كل وقت الى يوم الدين[2].

والملاحظ أن فعل النصر الأول في الآية اسند إلي صحابته ﷺ أما الثاني فقد اسند فعله إلى الله تبارك وتعالى وشتان بين الناصر والمستنصر وبذلك تبدو الحكمة جلية باستخدام لفظة النصر لا المعونة.

المسألة الثالثة:وجوه نصر الله تعالى لنبيه ﷺ:

وجّه علماء التفسير واللغة نصر الله تعالى للنبي وجوها عدة منها:

ما ذهب اليه الماوردي رحمه الله أنَّ في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾[3] وجهان: بأن أرشده الى الهجرة مستعينا به تعالى وحده مستغيا عن معونة غيره،وتكفَّل بحفظه بإمداده بالملائكة بإرشاده إلى الهجرة حتى أغناه عن معونتهم [4].

ويرى الامام القشيري انَّ النصرة تكمن في ثباته ﷺ في مقام الافتقار إلى الله تعالى والتوكل عليه تعالى وحده كي يخرجه من تلك المحنة، حتى أنَّه لم يستأنس بثانية الذي

---

(١) سورة التوبة،آية:٤٠.

(٢) انطلاقا من القاعدة التي تقول (الجملة الفعلية تدل على التجدد) .ينظر:البرهان في علوم القرآن، الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(٧٩٤هـ)،ج١/ ص٦٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)؛ الإتقان في علوم القرآن، السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين (ت٩١١هـ)،ج٢/ ص٣١٦،تحقيق : سعيد المندوب، دار الفكر (لبنان - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

(٣) سورة التوبة،جزء من الآية:٤٠.

(٤) ينظر:النكت والعيون، الماوردي:أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت: ٤٥٠هـ)، ج ٢ / ص ٣٦٣،تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت -دت).

كان معه بل ردَّ الصِّدِّيقَ إلى الله، ونهاه عن مساكنته إياه، فقالَ : ((ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟))[1] قال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[2][3].

وهنا أود أن أشير إلى أن القارئ لقصة الهجرة لأول وهلة قد يضن أن في هجرته ﷺ هزيمة له ونصرة لادعائه ويتساءل كيف يكون النصر في خروجه متخفيا من قبضة المشركين؟ لكن الرد الالهي القاطع جاء مباشرة وفي نفس الآية مسبوقاً بحرف التحقيق:قد الذي يفيد تأكيد حدوث الفعل[4] ليخبر من يشكك في نصرته انه تعالى ناصره نصرا عزيزا وقد تحقق ذلك عندما عاد ﷺ الى مكة فاتحا مخاطبا اياه ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾[5]، وقد يكون ذلك أحد الاسباب في مجيء جواب الشرط بصيغة الماضي لفعل شرط بصيغة المستقبل مع انَّ النصر الكامل كان بفتح مكة وهو لم يحصل بعد؛ والدليل على ذلك مذكور في القرآن الكريم عندما سأل الرسول ﷺ والمؤمنون عند اشتداد المحن يجيبهم بقرب موعده بقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[6].

---

(١) الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاري، البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ)، باب قوله تعالى: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ﴾ ،رقم الحديث:٤٦٦٣، ط٣،ضبط وترقيم وفهرسة: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، (بيروت- ١٤٠٧ - ١٩٨٧).

(٢) سورة التوبة،جزء من الآية:٤٠.

(٣) لطائف الإشارات، القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت٤٦٥هـ)،ج٢/ ص١٨،ص٢٧،تحقيق: د. إبراهيم بسيوني، دار الكتاب العربي(القاهرة-دت).

(٤) ينظر:الجنى الداني في حروف المعاني،ج١/ ص٢٥٥؛البرهان في علوم القرآن ،ج٢/ ص٤١٧.

(٥) سورة الفتح ،آية:٣.

(٦) سورة البقرة ،آية:٢١٤.

واقول: ان من عزيز نصرة الله تبارك وتعالى له ﷺ أنَّه ردَّه فاتحاً الى البلد الذي يحبه ويشتاق اليه قِبْلةً وسَكَناً حتى اننا نجد انَّ الله تعالى عدَّها من أسمى أمانيه وأهدافه على حبه الشديد للمدينة المنورة وأهلها، واختياره لها مقرا لنشر رسالته؛ وهذا مااستشفه سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[1] حين فسرها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما سألهم سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تفسير الآية بأن قال بعضهم:((أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئا ،فقال لي:يا إبن عبّاس أكذلك قولك؟ قلت:لا،قال:فما تقول؟ قلت:هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ فتح مكة، فذاك علامة أجلك ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ قال عمر:ما أعلم منها إلاّ ما تعلم))[2] .

ومما استوقفني في هذه الآية تكرار الحرف (إذْ) ثلاث مرات، وبعد الرجوع إلى استخدامات هذا الحرف في كتب النحو تبين أنَّ من استعمالات (إذ) للماضي على تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع [3].

ويعد علماء اللغة والقراءات قوله: ﴿ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ بدل من قوله جل وعز: ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، ويجيب ابن جني عن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الميدان

(١) سورة النصر،الآيات:١-٣.

(٢) صحيح البخاري ،ج ٤ / ص ١٥٦٣،رقم:٤٠٤٣ ،باب:منزل النبي ﷺ يوم الفتح.

(٣) ينظر: الكليات، الكفوي: أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، ج ١/ ص ٧٠، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة (بيروت- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

وهو: كيف يبدل وقت الإخراج قبل حصوله -ﷺ- في الغار، فكيف يُبدَل منه وليس هو هو، ولا هو أيضًا بعضه، ولا هو أيضًا من بدل الاشتمال؟ بأنه إذا تقارب الزمانان وُضع أحدهما موضع صاحبه، كقولك: شكرتك إذ أحسنت إلَيَّ، وإنما كان الشكر سببًا عن الإحسان، فزمان الإحسان قبل زمان الشكر، فأعملت شكرت في زمان لم يقع الشكر فيه، لكنه لما تجاور الزمانان وتقاربا جاز عمل الفعل في زمان لم يقع فيه لكنه قريب منه[1]، وهذا ماأيده الإمام الشعراوي في تفسيره[2].

وأقول: لا أدل من ذلك وأوضح من حثه ﷺ التراب على رؤوس المشركين عند خروجه من مكة إذلالاً لهم وإعلاناً لنصره تعالى له .

كما انَّه بخروجه ﷺ وإفلاته من قبضة المشركين نصر لدين الله وهذا ما فقهه الصديق رضي الله عنه عندما قال وهو بصحبة النبي ﷺ في طريق الهجرة من مكة الى المدينة يحاول ان يدفع الأذى عنه وهو يرصد الطريق من جميع الجهات بقوله : ((يا رسول الله إنْ قتلتُ فأنا رجل واحد، وإنْ قتلْتَ هلكت الأمة وذهب دين الله))[3]؛ من اجل ذلك ورد حديثه ﷺ مع سيدنا ابي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصديق في القرآن الكريم بلفظ القول ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ الذي يدل على الحكاية باللفظ والمعنى عن اعتقاد جازم بان الله ناصره لامحالة[4] ليخفف من حزن

(١) ينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني: أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، ج١/ ص٢٩١، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)؛ التبيان في إعراب القرآن، العكبري :أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت: ٦١٦هـ)،ج٢/ ص٦٤٤، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه (دت)

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي، ج ٨ / ص٥١٢٥.

(٣) البحر المحيط، ج ٥ / ص ٤٥.

(٤) لم يرد به القول المنطقيّ فقط بل أراد ذلك إذا كان معه اعتقاد وعمل. المفردات في غريب القرآن، ج١ / ص ٦٨٩.

الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويواسيه.

ونبَّه علماء اللغة الى لطائف استعمالات الحرف إذ، أنها تلزم الإضافة إلى جملة إمَّا اسمية، نحو: ﴿ واذكروا إذ أنتُم قَليلٌ ﴾،أو فعلية فعلها ماض لفظا أو معنى، ﴿ وَإِذ قال رَبك للملائكة ﴾[1] ،﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾[2] ،أو معنًى لا لفظاً، نحو: ﴿ وإذ تَقُولُ للّذِي أنعم اللهُ عليه وأنعَمْتَ عليه ﴾[3] ،وقد اجتمعت الثلاثة في آية [4] .

المطلب الثالث

بيان حاله ﷺ عندما أخرجه الكفار من مكة

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: لماذا نسب فعل الإخراج في قوله تعالى ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى المشركين ورتب الحكم عليهم مع أن الرسول ﷺ خرج بنفسه من مكة؟

للمفسرين أقوال في سبب نسبة فعل الإخراج إلى المشركين أهمها ما ياتي:

عند إضافة الفعل إلى غير فاعله إذا كان منه تسبب وهذا مايسمى بالاسناد الى السبب البعيد فإنه تعالى قال:﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الذِينَ كَفَرُوا ﴾، وما أخرجوه حقيقة بل أخافوه حتى اضطر إلى أن يخرج[5]، ولأنَّهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه،

(١) سورة البقرة،جزء من الآية:٣٠.

(٢) سورة البقرة، جزء من الآية:١٢٤.

(٣) سورة الاحزاب، جزء من الآية:٣٧.

(٤) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،١ج / ص ١١٦؛ معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى :إعجاز القرآن ومعترك الأقران،السيوطي: أبو بكر عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ج٢ / ص ٤٧-٤٨،دار الكتب العلمية(بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

(٥) ينظر:أحكام القرآن، الكيا الهراسى الشافعي: أبو الحسن ،علي بن محمد بن علي،عماد الدين(المتوفى: ٥٠٤هـ)،ج ٤ / ص٢٠٤،تحقيق: موسى محمد علي -وعزة عبد عطية،ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٠٥ ه).

وأسند الإخراج إليهم إذ المقصود تذنيبهم [1].

والذي تميل إليه النفس إضافة لما تقدم ذكره أن في الآية تأكيد على ان من نصر الله ومحبته لنبيه ﷺ لم يسند الفعل إليه؛ لأنه يعلم أن أمر خروجه يعز عليه، بدليل قوله ﷺ مخاطبا مكة عند خروجه منها: ((وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ))[2].

وتعجبه ﷺ من قول ورقة بن نوفل له :أن قومه سيخرجوه من مكة كما ورد في الحديث الذي روته عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها: ((...هذا النَّامُوسُ الذي نَزَّلَ الله على مُوسَى يا لَيْتَنِي فيها جذع لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فقال رسول اللَّهِ ﷺ أو مخرجي هُمْ قال نعم؛ لم يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ ما جِئْتَ بِهِ إلا عُودِيَ وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا...)) [3].

ولا عجب في اشتياقه إليها فهي بلده ومولده لكننا نجد القران يصرح أنَّ حقيقة الأمر نصرُ وتمكين من أعظم ناصر في الوجود الا وهو الله،لأنَّه ﷺ فعله امتثالاً لأمرِه تعالى.

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٦ / ص ٤٩٦.الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،الزمخشري: أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، ج٢/ ص٢٥٩، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت-دت)؛ أنوار التنزيل وأسرار التأويل،البيضاوي: أبو سعيد، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)،ج٣/ ص٨٣،تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - ١٤١٨ هـ).

(٢) الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)،ج٥/ ص٧٢٢،تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر-ومحمد فؤاد عبد الباقي -وإبراهيم =عطوة عوض ،ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر-١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م)،باب فضل مكة،رقم :٣٩٢٥، وقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ وصححه الالباني.

(٣) صحيح البخاري ،،ط٣، باب بدء الوحي، رقم: ٣ .

المسألة الثانية: في معنى الاثنينية والغار:

الثني والاثنان: أصل لمتصرفات هذه الكلمة، ويقال ذلك باعتبارات عدّة منها: العدد، أو باعتبار التكرير الموجود فيه، أو باعتبارهما معا، ومعنى ثَانِيَ اثْنَيْنِ:أي أحد اثنين [1]

وبيّن علماء النحو الغرض من صوغ: «فاعل» استعماله مضافا إلى العدد الأصلي الذي اشتق منه، للدلالة على أن: «فاعلا» هذا هو بعض من العدد الأصلي المحدد، من غير دلالة على مرتبة، أي: على ترتيب [2].

ومعنى الْغَارُ: ((الْكَهْفُ:وَهُوَ الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ النَّبِيءُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ خُرُوجِهِمَا مُهَاجِرَيْنِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُوَ غَارٌ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ خَارِجَ مَكَّةَ إِلَى جَنُوبِيِّهَا، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ نَحْوَ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ، فِي طَرِيقٍ جَبَلِيٍّ،وَالْغَارُ الثُّقْبُ فِي التُّرَابِ أَوِ الصَّخْرِ))[3]

وعدّ العلماء الألف الداخلة عليه في الآية للعهد الذهني لإنَّه لم يسبق ذكر للفظ «الغار» لكن سبق العلم به، فهو معهودٌ ذهناً[4].

ورب سائل يسأل:أليس في نصرته إذا كان لوحده اثر أقوى في نفس السامع من أن يرافقه سيدنا أبوبكر الصديق رضي الله عنه؟

---

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن ج١/ ص١٧٨؛ الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت : ٦٧١هـ)، ج ٨ / ص ١٤٣،تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،ط٢، دار الكتب المصرية (القاهرة- ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).

(٢) ينظر: النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)،ط١٥، ٤ / ٥٥٥-٥٥٦، دار المعارف.

(٣) معجم مقاييس اللغة،٤ / ٤٠٨؛ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيدالمعروف بالتحرير والتنوير،ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)،ج١٠ / ص٢٠٣، الدار التونسية (تونس- ١٩٨٤ هـ).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير ،ج١٠ / ص ٢٠٣؛ البلاغة العربية ،ابن حبنكة، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، ج١ / ص ٤٤٢، دار القلم(دمشق- ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦ م).

قال بعض العلماء : في قوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾ ما يدل على أن الخليفة بعد النبي ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لأن الخليفة لا يكون أبدا إلا ثانيا.

واثبت العلماء أنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ثاني محمد ﷺ في أكثر المناصب الدينية، فإنه صلى الله عليه وسلّم ((لما أرسل إلى الخلق وعرض الإسلام على أبي بكر آمن أبو بكر، ثم ذهب وعرض الإسلام على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة آخرين من أجلة الصحابة رضي الله تعالى عنهم، والكل آمنوا على يديه، ثم إنه جاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم بعد أيام قلائل، فكان هو رضي الله عنه ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ في الدعوة إلى الله.

وأيضاً كلما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلّم في غزوة، كان أبو بكر رضي الله عنه يقف في خدمته ولا يفارقه، فكان ثاني اثنين في مجلسه، ولما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلّم قام مقامه في إمامة الناس في الصلاة فكان ثاني اثنين، ولما توفي دفن بجنبه، فكان ثاني اثنين هناك أيضاً))[1] .

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام لماذا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالذات؟ ولماذا الصحبة أصلا؟

أجيب:ان المتصفح لكتب السيرة النبوية يجد نصوصا تؤكد أن أبا بكر كان ((كثيرا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو وفي رواية: تجهز أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له رسول الله ﷺ على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال له أبو بكر هل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال نعم فحبس أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه))[2] وفي طلب الرسول ﷺ التريث دلالة

(١) مفاتيح الغيب ج ١٦ / ص ٥٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،ج ٨ / ص ١٤٥.

(٢) السيرة الحلبية «إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون»،الحلبي:أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن نور الدين ابن برهان الدين (ت: ١٠٤٤ هـ)،ج٢/ ص٣٣ ،ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٢٧هـ).

على رغبته ﷺ بصحبة الصديق أي أن الرغبة في الصحبة منعقدة من الطرفين .

ولا ننسى أنه رضي الله عنه هو الذي صدقه في قصة الإسراء والمعراج التي حدثت قبل الهجرة وسُميَّ على أثرها بالصّدِّيق؛ لذلك نراه ﷺ يمتدحه قائلا: ((... لَا تُؤْذُونِي فِي صَاحِبِي فَإِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - بَعَثَنِي بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - سَمَّاهُ صَاحِبًا، لَاتَّخَذْتُهُ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةٌ لِلَّهِ، أَلَا فَسُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ))[1].

فقد أمَنه الله تعالى على رسوله في هجرته وكان أهلاً لتلك الأمانة، ومما يدل على فضل تلك الإثنينية قوله صلى الله تعالى عليه وسلم مُسكّنا جأش أبي بكر : ((ماظنك باثنين الله تعالى ثالثهما))[2].

المطلب الرابع

إثبات الصحبة للصديق رضي الله عنه وبيان فضله

صَحِبَ في اللغة: تدل على المقاربة وكثرة الملازمة.

قال ابن فارس: ((الصاد والحاء والباء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مقارَنة شيءٍ ومقاربته، من ذلك الصَّاحب والجمع الصَّحْب،وكلُّ شيءٍ لاءم شيئاً فقد استصحبه))[3].

---

(١) جزء من حديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ)، ج١٢/ ص٣٧٢، باب نافع عن ابن عمر، رقم: ١٣٣٨٣، تحقيق: حمدي بن عبدا لمجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم (الموصل - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م). وقال عنه الهيثمي: رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن جحر، الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، ج٩/ص٤٥، دار الكتب العلمية (بيروت -١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م).

(٢) صحيح البخاري ،٣/ ١٣٣٧،رقم(٣٤٥٣)، باب:مناقب المهاجرين وفضلهم.

(٣) معجم مقاييس اللغة ،ج ٣ / ص ٣٣٥.

وأضاف الراغب الأصفاني أنَّ الصحبة لاتطلق في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته[1].

ونبَه الآلوسي -رحمه الله- على أنَّ معونة المقام في الآية الكريمة تدل على تلك الصحبة فاضافة صاحب إلى الضمير للعهد أي صاحبه الذي كان معه في وقت يجفو فيه الخليل خليله؛ فإذا كانت الصحبة اللغوية لاتدل بنفسها على المدعي فمعونة المقام لعبت دورا كبيرا في بيان تلك الصحبة[2].

وفي قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ هذه الآية تضمنت فضائل الصديق؛ وقد أقسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه مفتخرا متأثرا باكيا لهذه المنزلة الرفيعة بحضرة أصحابه خطيبا على المنبر حيث : ((روي أن أبا بكر الصديق قال يوما وهو على المنبر أيكم يحفظ سورة التوبة فقال رجل: أنا فقال: اقرأ فقرأ فلما انتهى إلى قوله: ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ بكى وقال: أنا والله صاحبه))[3].

كما أنَّ في نعته بالصاحب في الآية دليل على تحقيق تلك الصحبة، وهو ثانيه في الغار والإيمان [4].

ولايخفى على ذي لب المنزلة الرفيعة التي خصه الله تعالى بها على لسان نبيّه محمد ﷺ عدما رآه حزينا وقت الهجرة في الغار مطمئنا إيَاه ومخففا عنه بقوله:((ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟))[5].

---

(١) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ج١ / ص٤٧٥.

(٢) روح المعاني، ج ١٠ / ص ١٠١.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٤ / ص ٢٦٠، رقم: ١٦٧٣٢؛ تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم: أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي(ت: ٣٢٧هـ)، ج ٦ / ص ١٨٠٠، رقم: ١٠٠٤١،تحقيق: أسعد محمد الطيب،ط٢،مكتبة نزار مصطفى الباز (المملكة العربية السعودية - ١٤١٩ هـ).

(٤) ينظر:لطائف الإشارات، ج ٢/ ص٢٧.

(٥) سبق تخريجه ص٧.

وهذا ما أكده سيدنا عمر رضي الله عنه بين أصحابه متباهيا بمقام الصديق وشرف صحبته وقت مبايعته بالخلافة بعد وفاة النبيَ محمد صلى الله عليه وسلَّم قائلا: ((من له مثل هذه الثلاث: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ من هما ؟ قال : ثم بسط يده فبايعه وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة)) [1].

فهنيئا للصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصحبة خير صديق وبمعيّة ربَّانيّة لاتتحصَّل إلاّ من رفقة خير البريّة وذلك فضلُ الله يؤتيهِ من كان أهله بكل أحقيّة.

المطلب الخامس

الفرق بين الخوف والحزن وهل يفسر حزنه رضي الله عنه بالجبن؟

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى:الفرق بين الخوف والحزن،والحكمه من نهيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بلفظ الحزن لاالخوف:

الهجرة وملابساتها توحي بالخوف من أن يدرك الطلب رسول ﷺ وأبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لذلك تروي لنا كتب السَّير أنَّ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان ينظر في كل اتجاه حتى أنَّه بكى: ((قَالَ: فَارْتَحَلْنَا، وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُم عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا. فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» حَتَّى إِذَا دَنَا مِنَّا فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قَدْرُ رُمْحٍ أَوْ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا. وَبَكَيْتُ، قَالَ: « لِمَ تَبْكِي؟ « قَالَ: قُلْتُ: أَمَا وَاللهِ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي،

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، ٥/ ٣٧، ،باب فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ؛ والترمذي في الشمائل المحمدية، أبو عيسى: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت: ٢٧٩هـ)،ج١/ ص٣٣٦،باب:ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز(مكة المكرمة -١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَيْكَ. قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: « اللهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ «. فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ إِلَى بَطْنِهَا فِي أَرْضٍ صَلْدٍ، وَوَثَبَ عَنْهَا، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يُنْجِّيَنِي مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَوَاللهِ لَأُعَمِّيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي مِنَ الطَّلَبِ، وَهَذِهِ كِنَانَتِي فَخُذْ مِنْهَا سَهْمًا، فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ بِإِبِلِي وَغَنَمِي فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَا حَاجَةَ لِي فِيهَا «. قَالَ: وَدَعَا لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُطْلِقَ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ...))[1].

وهذا يدعونا إلى التساؤل عن نهيه عليه الصلاة والسلام صاحبه بلفظ الحزن ولم يذكر الخوف من قريب أو بعيد مع أن واقع الحال يقتضي ذلك؟ والحكمة في ذلك تكمن من معرفة الفارق اللغوي في استعمال اللفظين:

فالحزن هو ((خشونة الشيء وشِدّةٌ فيه فمن ذلكَ الحَزْن وهو: ما غلُظ من الأرض، ويضادّه الفرح، ولاعتبار الخشونة بالغم قيل: خشّنت بصدره: إذا حزنته)) [2].

والخوف:يدلُّ على ((الذُّعْرِ والفزَع، وتوقع مكروه عن أمارة مظنونة أومعلومة، ويضاده الأمن))[3].

والمكروه الوارد على القلب تختلف مسمّياته بحسب زمن الأمر الذي أحدثه ذلك فيطلق الغمُّ في لغة العرب إذا كان من أمر مستقبل، والحزن من أمر ماض، وان كان من

(١) مسند أحمد بن حنبل والأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنائوط، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، ج١ / ص ١٨١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة(١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، وقال عنه الآرنائوط إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) معجم مقاييس اللغة ،ج ٢ / ص ٥٤؛ المفردات في غريب القرآن،ج١ / ص ٢٣١.

(٣) ينظر: المصدر السابق ج ٢ / ص ٢٣٠؛ مفردات ألفاظ القران ج١/ ص٢٣١

مستقبل أحدث الهم[1]

ومن الجدير بالذكر أنَّ من المفّسرين من جمع بين المعنيين للحزن اعتمادا على ظهور الحزن من عدمه في قولهﷺ لصاحبة أبي بكر ﴿ لا تَحْزَنْ ﴾؛ فإن كان الحزن ظاهرا منه رضي الله عنه كان في قوله ﷺ تخفيفا وتسلية، وإن لم يكن ظاهرا كان تبشيرا له بالنصر على أعدائهم، والنهي عن الحزن ليس المقصود منه حقيقة النهي فهو من الأمور التي لاتدخل تحت التكليف .[2]

ويضيف االشنقيطي رحمه الله ان ذهاب الحزن من ثمرات الولاية لشدة إيمانهم بالله تعالى وتقواهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون ﴾ [3]،وصرح في موضع آخر أنه تعالى ولي نبيه ﷺ، وأنه أيضا يتولى الصالحين،وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[4][5].

ومن خلال تصفحي للمعاجم اللغوية تبين لي أن من بين معاني الحزن أن يكون مصاحبا للبكاء إذا كان شديدا((والحَزَنُ نقيضُ الفرَح وهو خلافُ السُّرور،احْتزَنَ وتحَزَّنَ بمعنى قال العجاج بَكَيْتُ والمُحْتَزَن البَكِيُّ))[6].

---

(١) ينظر: الفوائد، ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية ،ط٢، ص٢٦، (بيروت- ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م).

(٢) وهو ماذهب إليه الماوردي في النكت والعيون، ج ٢ / ص ٣٦٤، والآلوسي في روح المعاني، ج ١٠ / ص ١٠١.

(٣) سورة يونس،الآيات:٦٢-٦٣.

(٤) سورة الأعراف،الآية:١٩٦.

(٥) ينظر:أضواء البيان في إيضاح القران بالقران، ج١/ ص١٥٨.

(٦) لسان العرب، ج ١٣ / ص .١١١

وعليه فالرسول ﷺ كان يواسي الصديق لشدة ما حصل في نفسه من الغم بقوله: ﴿ لاتحزن ﴾ لما رأى من تأثره إلى درجة بكائه رضي الله عنه الذي أكدته لنا كتب السير حيث ((يروى أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما رأى قريشا أقبلت نحو الغار خصوصا ومعهم القافة بكى، ويقال لما سمع القائف يقول لقريش والله ما جاز مطلوبكم من هذا الغار، حزن وبكى وقال: والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ وأنزل الله تعالى سكينته على أبى بكر رضي الله تعالى عنه أي وأنزل عليه أمنته التي تسكن عندها القلوب قيل قال له لا تحزن ولم يقل له لا تخف لأن حزنه على رسول الله ﷺ وهذا النهى تأنيس وتبشير له كما فى قوله تعالى له ﷺ ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾[1]))[2].

وبه تندفع الغرابة من استخدام لفظ الحزن لا الخوف انه مواساة وتسلية لصاحبه؛ لأنَّه يعلم يقينا أنه لا أعز ولا أغلى للمرء من بلده وموطنه وأهله وعشيرته ورسول الله ﷺ تألم قبل الصديق رضي الله عنه لابتعاده عن مكة لانهم اضطروه للهجرة فتوجه مسليا صاحبه بانهم لامحالة راجعين فاتحين منتصرين ولو بعد حين .

المسألة الثانية: هل يفسّر حزنه رضي الله عنه بالجبن:

كتب السنَّة تروي لنا رباطة جاش الصديق وعلمه يقينا ان الله ناصر رسوله محمد ﷺ ولكنه يسلّي الرسول ﷺ في الامور العصيبة وهذا حال الصحبة ومعناها فقد اخرج الامام مسلم في صحيحه عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ:((حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ،

(١) سورة يونس،جزء من الاية٦٥.

(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ج ٢ / ص ٢١٠ .

فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[1]))[2].

المطلب السادس

ما المقصود بالمعيّة في هذه الآية؟ وسبب تقديم لفظ الجلالة عليها؟

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: المقصود بالمعيّة:

المتتبع لمعنى (مع) في كتب اللغة يعلم يقينا سرّ ورودها في الآية دون غيرها؛ فقد عرّف علماء اللغة (مع) انها اسم، وقد يُسَكَّن ويُنَوَّن، أوحرف خفض، أو كلمة تضم الشيء إلى الشيء ظرف بلا خلاف فإنه مضاف إلى أحد المتصاحبين وهو لإثبات المصاحبة ابتداء، ولا تدخل «مع» إلا على المتبوع ويقتضي معنى النصرة وأن المضاف إليه لفظ مع المنصور نحو:﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾[3].

فسبحان منزل القرآن المعجز البيان! تكاتفت الكلمات والمعاني والحروف

---

(١) سورة الأنفال،آية:٩.

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم، أبو الحسن :مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، ج٣ /ص ١٣٨٣،رقم:٥٨،باب:الامداد بالملائكة في غزوة بدر،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت-دت).

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ج١،ص٧؛ الكليات، ج ١ / ص ٨٣٨-٨٣٩.

والأسماء لتجسد معنى النصرة الإلهية في الهجرة النبوية .

وتقسم المعية الى لفظية ومعنوية فقد ورد في السيرة الحلبية:

عن أبى بكر قال: ((نظرت إلى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما))[1].

كان معهما وثالثهما باللفظ والمعنى؛ أما باللفظ فكان يقال يا رسول الله، ويقال لأبى بكر يا خليفة رسول الله وأما بالمعنى فكان مصاحبا لهما بالنصر والهداية[2].

وقسَّم العلماء المعيّة الربانيّة الى وجهين خاصة، وعامة، أمّا الخاصة فهي لأنبيائه وأوليائه، وفي قوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾، ويوجه الآلوسي احتمالاً بأن يكون المراد إثبات معيّة الله تعالى الخاصة له صلى الله تعالى عليه وسلم وحده لكن أتى بـ(نا) سداً لباب الإيحاش؛ ونظير ذلك الإتيان بـ(أو)فى قوله: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾.[3][4].

وهي المعيَّة المقصودة بقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[5].

فهذه المعيَّة هي مَعِيَّة التأييد والنصرة والتسديد، وهي مَعيَّة الله عَزَّ وَجَلَّ لأنبيائه وأوليائه، ومَعيَّته للمتقين والصابرين وهي تقتضي التأييد والحفظ والإعانة كما قال تعالى لموسى عليه السلام وهارون: ﴿لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[6] .

وفرّق الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بين المعية العامة والخاصة بأنَّ الأولى ذاتية؛ لأن

(١) صحيح مسلم، باب فضائل الصحابة، رقم: (٦٣١٩) .
(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون،ج ٢/ ص٥٢.
(٣) سورة سبأ،جزء من الآية:٢٤.
(٤) ينظر: روح المعاني ،ج ١٠ / ص١٠٠.
(٥) سورة البقرة،جزء من الآية:١٩٤.
(٦) سورة طه،جزء من الآية:٤٦.

الله لم يزل ولا يزال محيطا بالخلق علما وقدرة وسلطانا وغير ذلك من معاني ربوبيته ،وأما المعية الخاصة، فهي صفة فعلية؛ لأنها تابعة لمشيئة الله.. [1]

ويصف ابن عاشور رحمه الله المعيّة في هذه الآية بانَّها مَعيّة العناية الالهيّة بالنبي ﷺ وصاحبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، واستشف الآلوسي رحمه الله فوائد من تلك المعية أنّه لم يثبت مثل ذلك في غيره بل لم يثبت نبي معية الله سبحانه له ولآخر من أصحابه وكأن في ذلك إشارة إلى أنه ليس فيهم كأبي بكر الصديق رضي الله عنه[3].

المسألة الثانية: السبب في تقديم لفظ الجلالة على المعية في قول النبي صلى الله عليه وسلّم والفرق بينه وقول موسى عليه السلام لقومه: ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾:

من المسلَّمات أنَّ إسناد المعية لله تعالى في الكلام تفيد أنَّه تعالى هو المنجي بتقدير أسباب النجاة فهي على معنى المصاحبة للطف الله تعالى لعباده .

وقد علمنا فيما تقدم أنَّ النبي ﷺ واسى الصدّيق رضي الله عنه بأنَّهما في لطف الله ومعيته، وربَّ سائل يسأل لماذا قدم الرسول ﷺ قدم لفظ الجلالة على المعية، بينما نجد موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام قدم المعية في قوله تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [4] .

لابدّ لنا أن نحلل الموقف، والبيئة المحيطة في الحالتين؛ فصاحب النبي ﷺ كان مؤمناً متيقناً بعناية الله تعالى ومعيّته، كما أنّ الحفظ حصل لهما معاً بكفّ أعين المشركين عنهما

(١) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)،ج ٨ / ص ٣٤٢، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن – دار الثريا (١٤١٣ هـ).
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ج١٠/ ص ٢٠٣.
(٣) ينظر: روح المعاني، ج ٥ / ص٢٩١.
(٤) سورة الشعراء، جزء من الاية: ٦٢.

في الغار، بينما في قصّة موسى عليه السلام كان أصحابه لم يكونوا عالمين بما ضمن له الله تعالى من العناية حتى أنهم خافوا أن يدركهم العدو عندما تبعهم جنود فرعون وترجموا ذلك بقولهم: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [1] فلابد لحدوث أمر خارق للعادة يحصل على يد نبي لينجيهم من تلك المحنة؛ فانفلق البحر بلطف الله وعنايته وهدايته لسيّدنا موسى عليه السلام فلذلك اقتصر على نفسه بالمعيّة وسبق كلامه بكلمة الردع كلاّ لينفي ما كان قبله من تخوفهم، فتقديم المعية وتأخيرها لمناسبة مقتضى الحال والمقام .

وهذا ما أكدّه ابن عاشور في الفرق بين الآيتين، وأقرّه الشهاب في حاشيته على البيضاوي[2] ويجيب ابن العربي رحمه الله على هذا التساؤل: أنّه لمّا كان الله تعالى مع موسى وحده ارتدَّ أصحابه بعده، فرجع من عند ربه ووجدهم يعبدون العجل، ولما قال في محمد ﷺ ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ بقي أبو بكر مهتديا موحدا عالما جازما قائما بالأمر ولم يتطرق إليه اختلال[3].

(١) سورة الشعراء، جزء من الاية: ٦١.

(٢) التحرير والتنوير،١٩/ ١٣٥؛ حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي المسمى عنايه القاضي وكفاية الراضي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، ٧/ ١٤، دار صادر – بيروت.

(٣) ينظر: أحكام القرآن،ابن العربي: أبو بكر، القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)،ج٢/ ص٥١٣،راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا،ط٣،دار الكتب العلمية(بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م)؛ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ٨ / ص ١٤٧ .

المطلب السابع

السكينة والتأييد وعلى من أنزلتا وآثارهما.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: معنى السكينة والتأييد وما الفرق بينهما؟

معنى السكينة في اللغة:((السَّكينةُ والسِّكِينةُ بالكسر مشدَّدة: الطُّمَأْنِينَةُ وقُرِىءَ بهما قوله تعالى:﴿ فيه سَكِينةٌ من رَبِّكُمْ ﴾ [1] أي : ما تَسْكُنُونَ به إذا أتاكُمْ))[2].

ويرى مجاهد في تفسيره للسكينة بأنّها شيءكهيئة الريح كرأس الهرة له جناحان، وأثبت ذلك أبو البقاء الكفومي في كلِّياته فقط للسكينة التي قي قصة طالوت [3]، بينما اعترض الراغب الأصفهاني على ذلك التفسير ونعته بأنه قول لايصح.

ومعنى السكينة في اصطلاح المفسرين: الثبات والأمن، والسكون [4].

والسكينة:((اطمئنان النفس عند الأحوال المخوفة،مشتقّة من السكون))[5]، ((أنها شيء يسكن الله به قلوبهم، قاله الحسن وعطاء))[6]، ويرى الماوردي -رحمه الله- أن من معاني السكينة : الرحمة، والطمأنينة، والوقار.

---

(١) سورة البقرة، جزء من الآية:٢٤٨

(٢) القاموس المحيط ،الفيروزآبادي: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، ١ / ١٢٠٦، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

(٣) ينظر: تفسير مجاهد، أبو الحجاج :مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل،١/ ٦٠٧، دار الفكر الإسلامي الحديثة(مصر- ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م)؛ الكليات ،ج ١ / ص ٧٧٩.

(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، ج ٦ / ص ١٥١.

(٥) التحرير والتنوير، ج ١٠ / ص ٢٠٣ .

(٦) النكت والعيون،ج ٢ / ص ٣٦٥ .

ومن اللافت للنظر أستعمال الحرف «على» دون الحرف «في» عند انزال السكينة وفيه دلالة على أنَّ قلبه كان مطمئنا لقضاء الله وقدره، لكن يعلو الحزن ملامحه لشدة مالاقاه من المشركين وانهم اضطروه للخروج فأُنزلت السكينة عليه لا داخله.

والتأييد : التقوية والنصر، وهو مشتقّ من اسم اليَدِ، الْهَمْزَةُ وَالْيَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ وَالْحِفْظِ))[1]، ومن جوه التأييد في قوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ أحدهما : بالملائكة، والثاني : بالثقة بوعده واليقين بنصره ؛ حيث إخفى أثره في الغار حين طلب،ومنع من التعرض له حين هاجر [2]

وفسّر البغوي رحمه الله التأييد بمعركة بدر: ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾((وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته. وقيل: ألقوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا. وقال مجاهد والكلبي: أعانه بالملائكة يوم بدر، أخبر أنه صرف عنه كيد الأعداء في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر)) [3].

وفي بيان نوع التأييد والفرق بينه وبين إنزال السكينة يرى ابن عاشور رحمه الله:أَنَّ انزال السكينة نصر نفساني، والتأييد نصر جثماني، حتى أنَّ من آثار تلك السكينة قوله: ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ فيكون تتقدير الكلام فقد نصره الله تعالى في الأزمنة الثلاثة

---

(١) الاشتقاق ،ج١ / ص ١٦٨؛ مقاييس اللغة ،ج١ / ص ١٦٣؛ لكشف والبيان عن تفسير القرآن،الثعلبي: أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(المتوفى: ٤٢٧هـ)، ج ٥ / ص ٤٨، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور،مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي(بيروت -١٤٢٢- هـ - ٢٠٠٢ م).

(٢) ينظر: النكت والعيون،ج ٢ / ص ٣٦٥.

(٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن ،البغوي: أبو محمد،الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي محيي السنة (المتوفى : ٥١٠هـ)، ج ٢ / ص ٣٥٣، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي(بيروت- ١٤٢٠ هـ).

التعلقة بالفعل نصر، التي لايحصل النصر بها لغيره ﷺ [1].

ولامانع من الجمع بين الأقوال الآنفة الذكر وان يكون انزال السكينة عليه والتأييد في حادثة الهجرة أولا وكان من آثار تلك النصرة والتأييد النصر في مواطن كثيرة كبدر وحنين...قال تعالى :﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾[2].

المسألة الثانية: على من أنزلت السكينة والتأييد؟ وما هي أثارهما؟

القول عند أكثر أهل التفسير وأهل اللغة أن المعنى فأنزل الله سكينته على أبي بكر ؛لأنَّ النبي ﷺ معصوم والله جلَّ وعزَّ أمره بالخروج وأنَّه مُنجيه؛ والدليل على هذا أنَّه قال لأبي بكر رضي الله عنه ﴿ لا تحزن إن الله معنا﴾ فسكن أبو بكر رضي الله عنه قال الله تعالى: ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ [3].

وقال ابن عباس رضي الله عنه:((أُنزلت على أبي بكر رضي الله عنه، فإن النبي ﷺ كانت عليه السكينة من قبل)) [4].

وناقش الماوردي -رحمه الله-المسألة عود الضمير في قوله: ﴿ عليه ﴾ إنْ كان للصاحب فالأمر ظاهر، وإنْ كان للنبي ﷺ فلتسكين قلب الصدِّيق رضي الله عنه بطريق الانعكاس والإشراق، ولو أنزلت على الصديق بغير واسطة لذاب لها ولعظمها فكأنه قيل : أنزل سكينة صاحبه عليه[5].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ج ١٠ / ٢٠٣.

(٢) سورة التوبة، آية:٢٥.

(٣) إعراب القرآن، النَّحَّاس أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس (ت:٣٣٨هـ)،ج٢/ ص١١٩،وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية(بيروت- ١٤٢١ هـ)؛التحرير والتنوير،ج ١٠ / ص٢٠٤.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن ،ج ٢ / ص ٣٥٣.

(٥) ينظر:النكت والعيون، ج ٢ / ص ٣٦٥. روح المعاني، ج ١٠/ ص ١٠٦

والى هذا ذهب ابن عاشور رحمه الله بقوله:((وبهذا البيان تندفع الحيرة التي حصلت للمفسّرين في معنى الآية، حتّى أغرب كثير منهم فأرجع الضمير المجرور من قوله : ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ إلى أبي بكر، مع الجزم بأنّ الضمير المنصوب في أيّده راجع إلى النبي ﷺ فنشأ تشتيت الضمائر، وانفكاك الأسلوب بذكر حالة أبي بكر، مع أنّ المقام لذكر ثبات النبي ﷺ وتأييد الله إيّاه، وما جاء ذكر أبي بكر إلاّ تبعاً لذكر ثبات النبي عليه الصلاة والسلام، وتلك الحيرة نشأت عن جعل ﴿فأنزل الله﴾ مفرّعاً على ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾ وألجأهم إلى تأويل قوله: ﴿وأيده بجنود لم تروه﴾ إنّها جنود الملائكة يوم بدر، وكلّ ذلك وقوف مع ظاهر ترتيب الجمل، مع الغفلة عن أسلوب النظم المقتضي تقديماً وتأخيراً))[1].

ويقول القشيري رحمه الله في توجيه القولين:

((الكناية فى الهاء من «عَلَيْهِ» تعود إلى الرسول عليه السلام، وإن حُمِلَتْ على الصديق تكون خصوصية له من بين المؤمنين على الانفراد، فقد قال عز وجلّ لجميع المؤمنين: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾[2] وقال للصدِّيق -على التخصيص- ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾)) [3].

ويبطل الرازي رحمه الله القول بأنَّ عود الضمير في ﴿عليه﴾ عائدا الى النبيﷺ لوجوه منها:وجوب عود الضمير إلى أقرب المذكورات، وأنَّ الرسول ﷺ كان آمناً مطمئناً،ولو كان الأمر كذلك لما أمكنه أن يقول لأبي بكر :لاتحزن...و قَوْلَهُ: وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْها إِشَارَةٌ إِلَى قِصَّةِ بَدْرٍ وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِه:فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ

(١) التحرير والتنوير،ج ١٠ / ص٢٠٤.
(٢) سورة الفتح،جزء من الآية: ٤ .
(٣) لطائف الإشارات، ج ٢ / ص٢٨.

نَصَرَهُ اللَّهُ فِي وَاقِعَةِ الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا فِي وَاقِعَةِ بَدْرٍ[1].

ويرجّح النيسابوري والقرطبي عود الضمير الى سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه ؛ لأنَّه خاف على النبي ﷺ من القوم فأنزل الله سكينته عليه بتأمين النبي ﷺ، فسكن جأشه وذهب روعه وحصل الأمن[2] .

ويوجّه الآلوسي رحمه الله عود الضمير في ﴿عليه﴾ ﷺ بأنهما كالشخص الواحد لئلا يلزم تفكيك الضمائر[3].

والباحث مع الامام الآلوسي في رأيه في إنزالها على الرسول عليه الصلاة والسلام مع أن المنزعج صاحبه ما يرشد المنصف إلى أنهما كالشخص الواحد للأسباب الآتية:

ان السكينة وردت بصيغتين في القرآن الكريم:

الأولى:بالإضافة لهاء الضمير ﴿سكينته﴾ للتشريف والتعظيم لانها سكينة خاصة من عند الله تعالى وهذه الصيغة مختصة في المواضع التي ورد ذكر رسول الله ﷺ فيها والمؤمنين من بعده قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾[5].

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[6].

الثانية:وردت بصيغة التعريف ﴿ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ وهي سكينة عامة لم يذكر فيها رسول

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ،ج٩ / ص ٣٨٩،ج١٦ / ص ٥٢.
(٢) الكشف والبيان، ج ٥ / ص ٤٨؛الجامع لأحكام القرآن للقرطبي،ج ٨ / ص ١٤٨.
(٣) ينظر: روح المعاني، ج ١٠ / ص ٢٠١-٢٠٢.
(٤) سورة التوبة:جزء من الآية: ٢٦.
(٥) سورة التوبة:جزء من الآية: ٤٠.
(٦) سورة الفتح:جزء من الآية: ٢٦.

الله ﷺ بصفة خاصة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾[2].

ولّما كان لفظ السكينة في الآية موضع البحث بالهاء المتصله فهي سكينة خاصة من الله تبارك وتعالى شرَّف بها نبيّه صلى الله عليه وسلَّم ومن ثمَّ على سيدنا الصدّيق ضي الله عنه بطريق الإنعكاس والإشراق،والله تعالى أعلم بالصواب.

المطلب الثامن

كلمة الله وما تحويه من معان

وفيه مسائل:

المسألة الأولى :معنى كلمة الله والحكمة من تكرارها في الآية،وسبقها بضمير الفصل:

الكلمة : أصلها اللفظة من الكلام، ولا يقال لفظ الله بل كلمة الله[3]، ثمَّ أطلقت على الأمر والشأن ونحوِ ذلك من كلّ ما يتحدّث به الناس ويخبر المرءُ به عن نفسه من شأنه، قال تعالى :﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾[4] أي أحكامه ووعوده، فكلمةُ الذين كفروا شأنهم وكيدهم وما دبروه من أنواع المك[5].

---

(١) سورة الفتح:جزء من الآية: ٤.

(٢) سورة الفتح:جزء من الآية: ١٨.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن ،ج١ / ص ٧٢٢؛ المعجم الوسيط، ج ٢ / ص ٨٣٢.

(٤) سورة الأنعام،جزء من الآية: ١١٥.

(٥) ينظر:الكشف والبيان، ج ٥ / ص ٤٨.

والسؤال المتبادر الى الذهن لماذا تكررت مفردة ﴿كلمة﴾ في الآية؟

يقول النحويون الحذاق :((في إعادة الذكر في مثل هذا فائدة وهي أن فيه معنى التعظيم، قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[1] فهذا لا إشكال فيه[2].

وإذا كان الأمر كذلك لماذا ورد لفظ الجلالة الله مرتين في هذه الآية بالذات دون غيره من الأسماء؟

لأنَّ فيه دلالة على ان الله وحده ناصره ومعلي كلمته وما انضمامكم له والتفافكم حوله ايها الصحابة الآ من قبيل التشرف بمعيته ونصرة من كان الله ناصره ولأن المقام مقام شحذ همم الصحابة رضي الله عنهم لنصرة نبيهم ﷺ في غزوة تبوك ولايخفى في استعمال لفظ الجلالة «الله» بالذات مافيه من القيم التي تدل على التوحيد ونبذ الشرك وأهله،((أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى قال : هي الشرك وكلمة الله هي العليا قال : لا إله إلا الله))[3].

وبيّن الفيروزآبادي رحمه الله خصائص لفظ الجلالة الله بالاتي

((أنه يقوم مقام جملة أسماء الحق - تعالى - وصفاته، وأن جملة الأسماء فى المعنى راجعة إليه، وتغليظ لامه ،والابتداء به فى جميع الأمور بمثل قولك: بسم الله، و ختم المناشير والتواقيع فى قولك: حسبى الله... تعليق توحيد الحق - تعالى - به فى قول لا

(١) سورة الزلزلة،الآيات: ١، ٢.

(٢) إعراب القرآن، ج ٢ / ص ٢١٦.

(٣) الأسماء والصفات ،البيهقي: أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨ هـ)، ١/ ٢٧٢، لمحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - جدة.

إله إلا الله...»[1].

ولابد لي في هذا المقام ان ابين الفرق بين لفظ الجلالة» الله والأله،فلفظ الجلالة مختص به تعالى لم يسمى به غيره ،وسمي غير الله إلها. [2]

وبيّن الزمخشري في كشّافه فضل كلمة الله في العلوّ، وأنَّ الحكمة في سبقها بضمير الفصل (هي) للتأكيد في العلوّ، وأنها المختصة به دون سائر الكلم[3].

ويوضح البيضاوي رحمه الله معنى اعلاء كلمة الله بالنصر والتاييد ويرّجح قراءة الرفع؛ لأنّه أبلغ لما فيه من الأشعار بأن ﴿كلمة الله﴾ عالية في نفسها وإن فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل[4].

وبيّن ابن عاشور أن ضمير الفصل أفاد القصر في قوله تعالى: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ وهي جملة مستأنفة بمنزلة التذييل للكلام؛أفادت حصر العلاء في دين الله تعالى ؛ ولذلك لم تعطف كلمة الله على كلمة الذين كفروا؛ فليس المقصود من الجعل احداث حالة جديدة فقط بل ثبوتها وقصرها عليه، فلمّا تصادمت الكلمتان بطلت كلمة الذين كفروا وعلت وتجلَّت كلمة الله تعالى على الدوام. [5].

المسألة الثانية : الحكمة من تكرار صفة الذين كفروا في الآية، والعلة من عدم عطفها على كلمة الله في الآية:

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادى : أبو طاهر محمد بن يعقوب مجد الدين (ت: ٨١٧هـ)، ج٢ / ص ٢٠،تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي(القاهرة- ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م).

(٢) ينظر: معجم الفروق اللغوية، ج ١ / ص ٤٥.

(٣) ج ٢ / ص ٤٢٢.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،ج٣ / ٨٢.

(٥) ينظر:التحرير والتنوير،ج ١٠ / ص ٢٠٦-٢٠٥.

لعلَّ الفائدة في تكرار صفة الكفر تكمن في إبراز الشدة في الإذلال؛ فقد خصَّ المشركين بصفة الكفر للمرة الثانية في هذه الآية بياناً وتأكيداً منه تعالى أنَّها الحاملة لهم على إخراجه ﷺ، وهذه القاعدة ذكرها ابن هشام الأنصاري في مغنى اللبيب أن((النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى وإذا أعيدت معرفة أو أعيدت المعرفة معرفة أو نكرة كان الثاني عين الأول)) [1].

كما انَّ الحكمة في إعادة صفة الكفر؛ لأنَّهم ظنوا بإخراجهم اياه ﷺ انتصروا وعلا شأنهم فجاء الرد الإلهي الحاسم بأنَّ في خروجه نصرةً له، وإعلاءً لدين الله تبارك وتعالى لا كما ضنّ الكفار اخزاهم الله.

انَّها البشارة بإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى وهي عزيزة القدر لأنَّ الاسم إنّما يأخذ قوته مما يضاف إليه لذلك خصها بالعلو ودحض كلمة الشرك بجميع ماتتحقق به لفظة جعل من معاني ودلالات؛ وفي هذه البشارة ما يقابل الحزن الذي ورد في الآية كما ان فيه تصديق لقول سيدنا محمد ﷺ ﴿ ان الله معنا ﴾، وهذا النصر تحقق كليا بعد فتح مكة حين عز نبيه بنصره بعد أن خذله الكفار وأخرجوه من بلده بقوله ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾[2] منجزا وعده له ﴿ إن الذي فرض عليك القران لرادك إلى معاد ﴾ [3].

(١) ج ١ / ص ٨٦١.
(٢) سورة النصر،آية:١.
(٣) سورة القصص،جزء من الآية: ٨٥.

المطلب التاسع

الحكمة من ختم الآية بالعزيز والحكيم من أسماء الله تعالى الحسنى

العَزِيزُ: من صفات الله عزَّ وجلَّ وأَسمائه الحسنى، قال الزجّاج: ((هو الممتنع فلا يغلبه شيء وقال غيره هو القوي الغالب كل شيء وقيل هو الذي ليس كمثله شيء ومن أَسمائه عز وجل المُعِزُّ وهو الذي يَهَبُ العِزَّ لمن يشاء من عباده والعِزُّ خلاف الذُّلِّ.

ومن صفات الله الحَكَمُ والحَكِيمُ وهو الذي يُحْكِمُ الأَشياءَ ويتقنها فهو فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ وقيل الحَكِيمُ ذو الحِكمة والحَكْمَةُ عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقالُ لَمَنْ يُحْسِنُ دقائق الصِّناعات ويُتقنها حَكِيمٌ والحَكِيمُ يجوز أن يكون بمعنى الحاكِم مثل قَدِير بمعنى قادر وعَلِيم بمعنى عالِم الجوهري الحُكْم الحِكْمَةُ من العلم والحَكِيمُ العالِم وصاحب الحِكْمَة وقد حَكُمَ أي صارَ حَكِيما)) [1].

وفي تقديم كلمة الكفر على كلمة الله تبارك وتعالى؛ مناسبة مع ختم الآية بالعزة والحكمة؛ لأنّ الله تعالى قادر على قلب حال الكفار الذين اغترّوا بكثرة عددهم ومعنى جعلها كذلك: أنّه لمّا تصادمت الكلمتان وتناقضتا بطلت كلمة الذين كفروا واستقرّ ثبوت كلمة الله .وجملة ﴿والله عزيز حكيم﴾ تذييل لمضمون الجملتين : لأنّ العزيز لا يغلبه شيء، والحكيم لا يفوته مقصد، فلا جرم تكون كلمته العليا وكلمة ضدّه السفلى؛ فلا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، ولا ينصر من عاقبه ناصر ﴿حكيم ﴾، في تدبيره خلقَه، وتصريفه إياهم في مشيئته[2].

---

(١) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى،الزجاج، أبو إسحاق : إبراهيم بن السري بن سهل، (المتوفى: ٣١١هـ)، ص: ٣٤،المحقق: أحمد يوسف الدقاق،الناشر: دار الثقافة العربية، لسان العرب ،ج ٥ / ص ٣٧٤،باب:العين المهملة؛ج١٢،ص١٤٠،باب:الحاء المهملة.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٤ / ص ٢٦٢ ؛ التحرير والتنوير،ج ١٠ / ص ٢٠٦-

وهذا فيه إشارة إلى عظيم قدره ﷺ عند ربه فيالها من حكمة جبار منتصر نابعة من محبة ربانية لخير خلق البرية،وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللهُ لأَغلِبَنَّ أنا ورُسُلي﴾[1]

وإذا أراد الله نصرة عبده كانت له أعداؤه أنصارا[2]

.٢٠٥

(١) سورة المجادلة،جزء من الآية:٢١.

(٢) السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)،ج١ / ص ٦٠، دار الكتب العلمية (بيروت-دت).

الخاتمة والنتائج

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبحمد الباري ونعمة منه وفضل ورحمه نضع قطراتنا الاخيره بعد رحلة عبر موانئ بين تفكر وتعقل في الآية التي ورد فيها ذكر حادثة هجرة النبي محمد ﷺ وقد كانت رحلة جاهده للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الافكار توصلت من خلالها الى النتائج الآتية:

١. أن في الآية شحذ لهمم الصحابة على الالتفاف حول قائدهم ولا علاقة لهم بالنتائج لان الله تكفل لهم بالنصر.

٢. أن طلب الله تعالى في الآية جاء بلفظ النصرة بالتحديد دون المعونة بالإضافة إلى ما بينهما من عموم وخصوص هو أن الذي يطلب المعونة هو المنهزم وتعالى الله ورسوله عن ذلك علوا كبيرا.

٣. وأفاد حرف التحقيق: «قد» تأكيد حدوث الفعل ليخبر من يشكك في نصرته انه تعالى ناصره نصرا عزيزا وقد تحقق ذلك عندما عاد ﷺ الى مكة فاتحا.

٤. بخروجه ﷺ وإفلاته من قبضة المشركين نصر لدين الله من اجل ذلك ورد حديثه ﷺ مع سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه على الحكاية باللفظ والمعنى عن اعتقاد جازم بان الله ناصره لامحالة ليخفف من حزن الصديق رضي الله عنه ويواسيه.

٥. في الآية تأكيد على ان من نصر الله ومحبته لنبيه ﷺ لم يسند الفعل إليه لأنَّه يعلم أنَّ أمر خروجه يعزُّ عليه.

٦. من اسباب استخدام لفظ الحزن دون الخوف أن يكون مصاحبا للبكاء وعليه فالرسول ﷺ كان يواسي الصديق بقوله: چ لاتحزن چ لما رأى من تأثره إلى درجة بكائه

رضي الله عنه الذي أكدته لنا كتب السِّير.

٧. اختلف العلماء في عود الضمير في قوله تعالى چ عليه چ وبعده على من تنزلت السكينة على النبي ﷺ ام الصاحب والباحث مع الراي القائل في إنزالها على الرسول عليه الصلاة والسلام مع أن المنزعج صاحبه ما يرشد المنصف إلى أنَّهما كالشخص الواحد .

٨. في إعادة الذكر في الآية لمفردة «كلمة» واضافتها الى لفظ الجلالة فائدة وهي أن فيه معنى التعظيم.

٩. ومن اسرار تكرار لفظ الجلالة مرتين انَّ فيه دلالة على انَّ الله وحده ناصره ومعلي كلمته وما انضمامكم له والتفافكم حوله ايها الصحابة الآ من قبيل التشرف بمعيته ونصرة من كان الله ناصره ولايخفى في استعمال لفظ الجلالة «الله» بالذات مافيه من القيم التي تدل على التوحيد ونبذ الشرك وأهله.

١٠. الحكمة من تكرار الذين كفروا تكمن في إبراز الشدة في الإذلال؛ لذا خصَّ المشركين بصفة الكفر للمرة الثانية في هذه الآية بياناً وتأكيداً منه تعالى أنَّها الحاملة لهم على إخراجه ﷺ .

١١. من معاني ختم الآية بصفات الله تعالى «العزيز» و«الحكيم»:انها البشارة بإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى وهي عزيزة القدر لأنَّ الاسم إنَّما يأخذ قوته مما يضاف إليه و وفي هذه البشارة ما يقابل الحزن الذي ورد في الآية كما ان فيه تصديق لقول سيدنا محمد ﷺ ﴿ان الله معنا﴾.

وبعد: هذا ما اجتهدت فيه وأوصي من يرغب في البحث في آية الهجرة أن يلقي الضوء على أمور لم اوردها في بحثي خشية الإطالة والإسهاب منها:

١-الفرق بين قصة الهجرة وقصة أصحاب الكهف التي أشارت إليها كتب التفسير.

٢-الحكمة من اجتماع ولادته وهجرته ووفاته في نفس اليوم.

٣-السبب في مبيت سيدنا علي رضي الله عنه وارضاه في فراش المصطفى عليه الصلاة والسلام.عدا سبب رده للأمانات التي أوكلها له المصفى عليه الصلاة والسلام.

٤-لماذا جلس الكفار بباب بيت النبي ولم يقتحموا الدار مباشرة.

٥-السبب في خروجه ﷺ إلى أبي بكر الصديق في وقت شديد الحر وطلبه منه ان يخرج من كان عنده.

٦- كل ماتتضمنه آية الهجرة من معاني لغوية وإعرابية لان ما أوردته في بحثي نزغ يسر منها.

٧-وجوه القرآءات في آية الهجرة.

وأخيرا: فهذا جهد مقل ولا ندعي فيه الكمال ولكن عذرنا انَّا بذلنا فيه قصارى جهدنا، فإنْ أصبنا فذاك مرادنا، وإنْ أخطئنا فلنا شرف المحاوله والتعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر

بعد القرآن الكريم

١. أبجد العلوم: صديق بن حسن القنوجي، تحقيق : عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت ،١٩٧٨.

٢. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين (ت٩١١هـ)، تحقيق : سعيد المندوب، دار الفكر (لبنان - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).

٣. أحكام القرآن، الكيا الهراسى الشافعي: أبو الحسن ،علي بن محمد بن علي،عماد الدين(المتوفى: ٥٠٤هـ)، تحقيق: موسى محمد علي -وعزة عبد عطية،ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٠٥ هـ).

٤. أحكام القرآن،ابن العربي: أبو بكر، القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا،ط٣، دار الكتب العلمية(بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

٥. أسباب نزول القرآن، الواحدي: أبو الحسن ،علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدانَ ط٢، دار الإصلاح (الدمام- ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

٦. الأسماء والصفات ،البيهقي: أبو بكر، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨ ه)، المحقق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي - جدة.

٧. الاشتقاق ،ابن دريد:أبو بكر، محمد بن الحسن الازدي(ت:٣٢١هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، : دار الجيل(بيروت - ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م).

٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(ت : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر (بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م).

٩. إعراب القرآن، النَّحَّاس :أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي (ت:٣٣٨هـ)،وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم،دار الكتب العلمية(بيروت- ١٤٢١ هـ).

١٠. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي: أبو سعيد، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي (بيروت - ١٤١٨ هـ).

١١. البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي: أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن بهادر بدر الدين (ت: ٧٩٤هـ)، حققه وضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية(بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).

١٢. البرهان في علوم القرآن، الزركشي: محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر - ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)؛

١٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادى : أبو طاهر محمد بن يعقوب مجدالدين (ت: ٨١٧هـ)،تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي(القاهرة- ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م).

١٤. البلاغة العربية ،ابن حبنكة، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم(دمشق- ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

١٥. التبيان في إعراب القرآن، العكبري :أبو البقاء، عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت : ٦١٦هـ)، تحقيق : علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه(د.ت).

١٦. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف

بالتحرير والتنوير، ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية (تونس- ١٩٨٤ هـ).

١٧. التعريفات، الجرجاني: علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: ٨١٦هـ) ،ضبطه وصححه جماعة من العلماء: دار الكتب العلمية(بيروت-١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

١٨. تفسير أسماء الله الحسنى،الزجاج، أبو إسحاق : إبراهيم بن السري بن سهل، (المتوفى: ٣١١هـ)، ص: ٣٤،المحقق: أحمد يوسف الدقاق،الناشر: دار الثقافة العربية.

١٩. تفسير الشعراوي - الخواطر،الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (ت:١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم(دت- ١٩٩٧ م).

٢٠. تفسير القرآن العظيم ،ابن أبي حاتم: أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي(ت: ٣٢٧هـ)،تحقيق: أسعد محمد الطيب،ط٢،مكتبة نزار مصطفى الباز (المملكة العربية السعودية - ١٤١٩ هـ).

٢١. تفسير مجاهد، أبو الحجاج :مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة(مصر- ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م).

٢٢. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي (ت: ١٠٣١هـ)، عالم الكتب(القاهرة- ١٤١٠هـ-١٩٩٠م) .

٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري: أبو جعفر ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري(ت٣١٠ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة(١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م).

٢٤. الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاري، أبو عبد الله، محمد بن

إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ)، ضبط وترقيم وفهرسة: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، (بيروت- ١٤٠٧ - ١٩٨٧).

٢٥. الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر-ومحمد فؤاد عبد الباقي -وإبراهيم عطوة عوض ،ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر- ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

٢٦. الجامع لأحكام القرآن ،القرطبي: أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت : ٦٧١هـ)، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،ط٢، دار الكتب المصرية (القاهرة- ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م).

٢٧. جمهرة اللغة، ابن دريد: أبو بكر، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت:٣٢١هـ)،تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ،دار العلم للملايين (بيروت-- ١٩٨٧م).

٢٨. الجنى الداني في حروف المعاني، ابن جني: أبو محمد، بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، تحقيق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية(بيروت - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

٢٩. حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي المسمى عنايه القاضي وكفاية الراضي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار صادر - بيروت.

٣٠. دستور العلماء المسمى: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ١٢هـ)،عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م).

٣١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي: شهاب الدين محمود

بن عبد الله الحسيني (ت: ١٢٧٠هـ) ،تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤١٥ هـ).

٣٢. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة (بيروت- ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م).

٣٣. السحر الحلال في الحكم والأمثال، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت-دت).

٣٤. سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تعليق الألباني،، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٣٥. السنن الكبرى، النسائي: أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراساني(ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق : د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن،، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤١١ - ١٩٩١) .

٣٦. السيرة الحلبية إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، الحلبي: أبو الفرج، علي بن إبراهيم بن نور الدين ابن برهان الدين (ت: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٢٧هـ).

٣٧. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ) ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد،ط٢٠،دار التراث (لقاهرة- ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م).

٣٨. شرح التسهيل، ابن مالك: محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الحياني الاندلسي(ت٦٧٣هـ)، تحقيق:د.عبد الرحمن السيد-محمد بدوي المختون، دار هجر(د.ت).

٣٩. الشمائل المحمدية، أبو عيسى: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز(مكة المكرمة -١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م).

٤٠. الصحاح، الجوهري: أبو نصر، إسماعيل بن حماد الفارابي(ت: ٣٩٣هـ) ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار،ط٤، دار العلم للملايين(بيروت- ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧) .

٤١. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: ٣٩٥هـ)علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود،ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت - دت).

٤٢. الفوائد، ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية ،ط٢، (بيروت- ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م).

٤٣. القاموس المحيط ،الفيروزآبادي: أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع(بيروت - ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).

٤٤. كتاب العين، الفراهيدي: أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)،تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ،دار ومكتبة الهلال(د.ت).

٤٥. الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،الزمخشري: أبو القاسم، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت-د.ت).

٤٦. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي: أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي(المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ

نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي(بيروت -١٤٢٢- هـ - ٢٠٠٢ م).
٤٧. الكليات، الكفوي: أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة (بيروت- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).
٤٨. لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي: أبو الفضل ،عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، دار إحياء العلوم - بيروت.
٤٩. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت:٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م).
٥٠. لسان العرب، ابن منظور: أبو الفضل، محمد بن مكرم بن على، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر(بيروت- ١٤١٤هـ).
٥١. لطائف الإشارات، القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت٤٦٥هـ)، ،تحقيق: د. إبراهيم بسيوني، دار الكتاب العربي(القاهرة-دت).
٥٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي وابن حجر، الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(ت ٨٠٧هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت -١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م).
٥٣. مجمل اللغة، ابن فارس: أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،ط٢،مؤسسة الرسالة (بيروت- ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م).
٥٤. مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت:١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا (١٤١٣ هـ).

٥٥. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني: أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي(ت: ٣٩٢هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

٥٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،ابن عطية: أبو محمد، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية (بيروت- ١٤٢٢هـ).

٥٧. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة: أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت:٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية (بيروت-١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).

٥٨. مسند أحمد بن حنبل والأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنائوط، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة(١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).

٥٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بصحيح مسلم، أبو الحسن :مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي (بيروت-دت).

٦٠. معالم التنزيل في تفسير القرآن ،البغوي: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي محيي السنة (المتوفى : ٥١٠هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي (بيروت- ١٤٢٠ هـ).

٦١. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى :إعجاز القرآن ومعترك الأقران، جلال الدين السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب

العلمية(بيروت – ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).
٦٢. المعجم الكبير، الطبراني: أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ)، تحقيق : حمدي بن عبدا لمجيد السلفي ،ط٢،مكتبة العلوم والحكم (الموصل- ١٤٠٤ه- ١٩٨٣م).
٦٣. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، تحقيق :مجمع اللغة العربية ،دارالدعوة ، (دت).
٦٤. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي (ت٣٩٥هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر(بيروت-١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).
٦٥. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام: أبو محمد، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، جمال الدين (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك – محمد علي حمد الله،ط٦، دار الفكر(دمشق- ١٩٨٥م).
٦٦. المغني:ابن قدامة المقدسي:أبو محمد،موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد الدمشقي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)، مكتبة القاهرة(١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م).
٦٧. مفاتيح الغيب، الرازي: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م).
٦٨. المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: أبو القاسم، الحسين بن محمد(ت:٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم(دمشق -١٤١٢ هـ).
٦٩. النحو الوافي، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ)، دار المعارف.
٧٠. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري: أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف شمس الدين (ت : ٨٣٣ هـ)،تحقيق : علي محمد الضباع ،المطبعة التجارية الكبرى (دت).

٧١. النكت والعيون، الماوردي: أبو الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت: ٤٥٠هـ)،تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية (بيروت –دت).

٧٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي،عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية(مصر- د ت).